دراسات فی العلوم الإنسانية
۳۰(۱)، الربيع ۱۴۴۴/۱۴۰۲/۲۰۲۳، صص ۶۷-۸۷
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

النسق الأنثوي المضمر لصورة المرأة الغجرية في رواية "لعنة كين" لفوزي الهنداوي

صادق البوغبيش[۱]، رسول بلاوي[۲*]، محمد جواد پورعابد[۳]، ناصر زارع[۴]

۱.طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران
۲.أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر– إيران
۳.أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر–إيران
۴.أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران

الملخص

النقد الثقافي على عكس النقد الأدبي لا يبحث عن جماليات النص ووظائفه، كما أنه لايكترث بتناغم الجنس الأدبي وانسجامه، بل يحاول الكشف عن مضمرات النص، والمعنى الكامن خلف جمالياته، والمخبوء تحت نمق الأحرف، ويبحث عن المعاني التي تقطن خلف النص الظاهر، لكي يبيّن مدى تأثير التراث الممتد من أعماق التاريخ الرحب حتّى يومنا هذا. إن شأن المرأة وحقوقها اقترن بقواعد الحداثة، والأدب الحديث انتهز هذه الفرصة للمناشدة بقضية المرأة كي تصبح هي وحقوقها من أهم القضايا المعاصرة التي تتّجه إليها أقلام الأدباء ويتطرق لها النُقّاد بحثاً عن حريتها وتأمين أمنها لحياة كريمة. لذا هدفنا الأسّ في هذا البحث هو أن ندرس رواية "لعنة كين" ونحلّل الأنساق الثقافية المضمرة لصورة المرأة الغجرية ونبيّن دورها في النص الظاهر والمضمر، ونسفر عمّا يحجبه الروائي خلف مفرداته وادّعاءاته التي جاءت منمّقة بشكل نص روائي. إذ عالجنا مسألة المرأة الغجرية لأنّها قد عاشت التذبذب بين نظريات المنظرين والخلفية الثقافية للمجتمع العراقي، وكانت الأقوال والكتابات تختلف عمّا يشهده المرء في الشارع العراقي. هذا البحث وفق المنهج التوصيفي–التحليلي يسعى إلى كشف النسق المضمر في رواية "لعنة كين" وقد اتّضح لنا من خلال دراستنا لهذه الرواية، أنّ هناك نسقين يسيطران تماماً وبشكل ملموس على تسلسل أحداث الرواية: النسق الأنثوي حيث ظهر بصورة: المرأة فريسة الرجل الشرقي، والمرأة الأمية والجاهلة في رواية لعنة كين، وضعف المرأة وانعدام الأمن، وجسد المرأة الشبق عند الرجل الشرقي. وكما جاء في النتائج أنّ الروائي من خلال مخيلته من اللاوعي، كشف لنا عمّا يجول جوف نهاه ويحدق بمخيلته، وتاثير الثقافة الذكورية على المجتمع العراقي والمفردات التي سبق مفهومها مصطلحها، ممّا ساعدنا على إبداء المضمر وإظهار المكنون في نص الروائي.

المفردات المفتاحية: النقد الثقافي، المضمر النسقي، المرأة الغجرية، فوزي الهنداوي، رواية لعنة كين.

الكاتب المسؤول: E-mail: mehrabi1399@yahoo.com

Copyright© 2023, the Authors | Publishing Rights, ASPI. This open-access article is published under the terms of the Creative Commons Attribution- NonCommercial 4.0 International License which permits Share (copy and redistribute the material in any medium or format) and Adapt (remix, transform, and build upon the material) under the Attribution-NonCommercial terms.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

١. المقدمة

يبحث النقد الثقافي عن أشياء أخرى غير الأدبيّة والجماليّة، ولا شك بأنّه خلف جماليات النصوص تكمن مضمرات ثقافية شغلتنا الجماليات عن تذوقها. والمتلقّي أخال عليه الأمر وعسر في الأدبية وغضّ النظر عمّا يكمن خلف النص الظاهري وحتّى النقد الأدبي يفتقر إلى الحلول لمساندة المتلقّي لفهم النص، وربّما افتقار النقد الأدبي للكشف عن هذا الخلل يأتي من خلفية التبرير، وقد يعلّل النقد الأدبي، العمل مهما كان تحت المبرر الجمالي ومبرّر الأدبية، وبهذه الفكرة يستطيع الأديب أن يروي ما يستطاب له ويكتب ما لذّ وعذُب من أفكار ومفردات، لأنّ تبرير الجماليات وافتقار النقد الأدبي لكشف المضمر ساعدت هذه الفكرة خلال تلك القرون حتّى ظهر النقد الثقافي لكي يترك الجماليات والجُمَل المتفنّنة والصور اللبقة ويبحث عن أشياء مضمرة لم ينتبه إليها الأديب ولا حتّى القارئ. لهذا يرى النقد الثقافي بأنّ الأدب بحاجة إلى أداة أخرى في النقد مهمّتها كشف عيوب الخطاب وأساليب الثقافة في تمرير أنساقها بحيل خفية أهمّها الحيلة الجمالية، وهذه الأداة هي النقد الثقافي.

النصوص التي نقرأها تحمل دلالتين: دلالة ظاهرة ودلالة مضمرة. الدلالة الظاهرة هي التي يكتبها المؤلف ويعنيها، والدلالة المضمرة لم يعنيها المؤلف وليست في وعيه، لكنّها موجودة في الخطاب وهو المسؤول عنها في الثقافة، لذلك تتناقض أحياناً مع الدلالة الظاهرة. الرواية تعالج قضايا مرتبطة بحضور الغجر في العراق وتحديداً في الكمالية، والراوي المشارك هو الذي يروي أحداث الغجر وحضور المرأة الغجرية إذ كان حضورها نقطة محورية، وقد شارك الراوي في الحبكة وتسلسل الأحداث، كما كان راوياً للقضايا وحتّى الاعتراف وكاشفاً لقضايا مرتبطة بالعنصرية والعرقية، والذكورية، فمن خلال سبرنا لغور هذه الرواية نكشف نسقين في الدلالتين الظاهرة والمضمرة، النسق الأول: نسق الفحولة والأفكار التي استمدّها من عصور قديمة كالرجل المتألّه الذي يحمي المرأة وهو حر في قراراته، والنسق الثاني: نسق الأنوثة حيث تصبح فريسة ودمية بيد الفحول لأنّها جاهلة وضعيفة ومحتاجة إلى حماية الرجل ويجب أن تلبّي طلباته الشبقية والسريرية. إذاً من خلال كلام الراوي، سنبحث عن مضمرات وأنساق ثقافية ونظرة المجتمع العربي تجاه المرأة الغجرية وسنفضي ما هو مضمر خلف المفردات.

١-١. تحديد الموضوع وأهميته

يحاول هذا البحث رصد الأنساق المضمرة تجاه المرأة الغجرية في رواية "لعنة كين" حيث اخترنا هذا الموضوع بالذات لسببين: السبب الأوّل هو أهميّة النقد الثقافي في المجتمع العربي، ودلالاته وكشفياته التي تساعد المجتمع العربي على النهوض وترك الأفكار المترسبة من التراث الجاهلي تجاه المرأة والآخر غير العربي، أما

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

السبب الثاني فهو ندرة الدراسات التي بحثت في مجال الأنساق الثقافية وخاصة حول المرأة في الرواية العراقية.

١-٢. أسئلة البحث

من خلال قراءتنا لرواية "لعنة كين" سنجيب على الأسئلة التالية:

- كيف ظهرت صورة المرأة في رواية "لعنة كين" من خلال الأنساق الثقافية والمضمرة؟
- ما الأمر المضمر خلف صورة المرأة الغجرية عند الراوي؟
- كيف ظهرت الفحولة غَرِيم المرأة الغجرية عند شخصية الراوي في رواية "لعنة كين"؟

١-٣. فرضيات البحث

- ظهرت المرأة في رواية "لعنة كين" بصورة المرأة الضعيفة والجاهلة، وفريسة الفحل وضحية المجتمع الذكوري.
- الأمور المضمرة خلف صورة المرأة الغجرية هي امرأة تمتهن الرقص والغناء، وسلعة رخيصة، لا أمان لها دون رجل.
- الفحولة تحضر مقابل المرأة، في مظهر التألّه وهيئة شخصية تستحوذ على الحرية، ومصدر أمان للمرأة.

١-٤. خلفية البحث

النقد الثقافي ومحاولاته النقدية ومصطلحاته، بحث حديث جداً، ولم يُقدر له ذيوع أخيراً إلا بمقدم المتغيرات والعوامل التي أدت إلى العولمة، ورغم حداثة الموضوع فهناك من أظهر علاقة حميمة مع الفكرة وتبنّاها في كتاباته النقدية، وأهم ناقد عربي في هذا المجال هو "عبدالله الغذامي" الذي كرّس حياته واهتماماته للتنظير في هذا المجال، وأمّا الكتب والمقالات على سبيل المثال ولا الحصر:

كتاب «**تمارين في النقد الثقافي**» بقلم صلاح قنصوة (٢٠٠٧م)، حاول الكاتب بدل المقدمة والنظريات العريضة، أن يبسط الفكرة بسؤال وهو: ماذا نقصد بالنقد الثقافي؟، ليأتي بعدها بمعنى الثقافة ومفهوم الحضارة، ونقد الأساطير والأوهام الثقافية، وثقافة الجلد أو الكفاف واختراع شبح الآخر ثمّ يذكر نظريات لبعض المنظّرين في هذا المجال ليصل إلى قسم مرشد القارئ إلى ما يسمّى بالخطاب الثقافي، ونماذج في النقد الثقافي وتبسيط الأمور.

وليد ساعدي نسب (٢٠١٤م)كتب مقالاً بعنوان «**قراءة ثقافية لنزار قباني على ضوء مشروع الغذامي**» نُشر في مجلة دراسات الأدب المعاصر. المقال يفتقر إلى المنهجية، وإشكالية للبحث، حاول

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

الكاتب أن يبيّن للقارئ دور التفخيم والتضخيم للأنا عند الشاعر، فجاء بأمثلة دقيقة وشرحها شرحاً ثقافياً موفقاً، وفي قسم النتائج لم نرَ نتيجة البحث ولا حتّى أثراً للشاعر، بل اكتفى الكاتب بتاريخية النقد الثقافي وحضور هذا النمط عند الشعراء من العصر الجاهلي حتّى يومنا هذا، والنتائج لا تعبّر عن الدراسة.

ومن البحوث المعرفية المفيدة لفهم النقد الثقافي في إطار الرواية مقال بعنوان «**النص الروائي في خطاب النقد الثقافي من نقد النصوص إلى نقد الأنساق**» بقلم حياة ذيبون (٢٠١٦م) في مجلة العلامة، تحاول الكاتبة في هذا البحث أن تبيّن للقارئ كيفية التحوّل من نقد أدبي إلى نقد ثقافي، ولماذا النقد الأدبي لم يعد يكفي لنقد النصوص، وإن هذه النقلة المعرفية التي آذنت بأفول نجم الدراسات الأدبية، وميلاد مشروع الدراسات الثقافية، فرضت تغييرات جذرية على مستوى القراءة والتأويل حيث لم يعد النص هو المقصود بالقراءة والتأويل إنّما الأنساق الثقافية التي يحبل بها ذلك النص، ثم تتسائل الكاتبة لماذا النقد الثقافي والنسق الثقافي والمضمرات تحوّلت من الشعر إلى الرواية.

كتب أحمد قاسم أسحم (٢٠١٩م) مقالاً بعنوان "**النسق الثقافي المضمر في شعر نزار الخاص بالمرأة ديوان أحلى قصائدي– نموذجاً**" ونُشر هذا المقال في مجلة بحوث جامعة تعز، بحث الكاتب في هذا المقال عن الأنساق الثقافية المضمرة في نصوص القباني وتألّه الفحل على المرأة من خلال الشعر والنظرة الدونية للمرأة وخطابه للمرأة كان من خلفية جاهلية ولا صلة لها بالحداثة.

أما في هذا البحث، فنحن بصدد دراسة الأنساق الثقافية المضمرة وتحليلها، لصورة المرأة الغجرية في رواية "لعنة كين" ، إذ لم ينتبه أيّ ناقد لهذا الموضوع ولم يتطرق له قبلنا، فالمهم هو المرأة الغجرية ودراستها في هذا المجال وسنبيّن بأنّ النظرة في المجتمع العراقي حول المرأة الغجرية تختلف عمّا روّج لها الروائي.

٢.رواية "لعنة كين"

فوزي الهنداوي أكاديمي وكاتب من العراق أستاذ في كلية اللغات وجامعة بغداد حاصل على شهادة الدكتوراة في تخصص الإعلام وصدرت له خمس روايات ترجمت اثنتان منها إلى اللغة الإنجليزية وآخر ما نشر هي رواية "لعنة كين" حيث تروي هذه الرواية أحداثاً من داخل الكمالية وإجلاء الغجر منها، بداية من سبعينات القرن السالف، حتّى عام ٢٠٠٣. يحضر الراوي وهو في بطن الأحداث، فيقودنا في رحلة يكشف من خلالها حقائق تاريخية غائرة في القدم، تختص بقبائل الغجر. تنشد "ريما" في بداية الرواية قصيدة تلعن من خلالها جدها "كين" وهناك شخص يروي الأحداث يحاول أن يخرجها من الكمالية خوفاً من أن يغتالها المتطرفون. ثمّ يعيدنا الراوي إلى الماضي ويشرح لنا كيف اشترى والده بيتاً رخيصاً في منطقة الغجر، ثمّ تأتي "ريم" إلى "خولة" أخت الراوي، لتخيط لها بدلةً لزواج أخيها، ومن هنا تنشأ علاقة حميمة بين العائلتين،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

ولكن كانت هناك مجموعة يرأسها الحاج صالح تستغل الغجر وتقوم بتسجيل عقاراتهم وبيوتهم باسمه، فعند اندلاع الحرب الإيرانية–العراقية، ارتبطت جماعة من الغجر بضباط من الجيش، وبهذا استقوى الغجر وأخذ الغجري حقّه من الحاج صالح وجماعته، الأمر الذي جعله يحنق عليهم ويترقب فرصة للانتقام منهم، إلى أن سنحت الفرصة وانتقم منهم سنة ٢٠٠٣ بعد احتلال بغداد.

سنحاول كشف القيم والأفكار التي أتت من خلال الحوار وفي الحقيقة «عندما يتكلم الفرد تظهر أيديولوجيته عبر ملفوظاته انطلاقاً من وعيه» (ميرقادري وآخرون، ٢٠١٩م: ٤٨). وبما أنّنا نسعى لكشف شفرات الرواية من خلال اللغة والبوح بأيديولوجيته «فهي تولد عبر المتكلم وينشأ فقط في اللحظة التي يحتكّ فيها الفرد بالجماعة» (المصدر نفسه:٤٥). فسنبين النسق الثقافي من خلال حوار وأفكار شخصية الراوي وهذه الشخصية بمثابة العمود الرئيسي لكشف النسق المضمر. رواية "لعنة كين" رواية اجتماعية واقعية تعالج قضايا مرتبطة بالمجتمع الغجري وانتقد الروائي الوضع السيئ بين الغجر وهذه خصال الرواية الواقعية إذ «أن الواقعية الحقيقية هي الواقعية الانتقادية التي تهتم بانتقاد الأوضاع الاجتماعية السيئة، ولا تلتزم بأسلوب فني واحد» (كاهه وآخرون، ٢٠١٤م: ٥٨). فهذه الرواية واقعية نبحث في طياتها عن الأوضاع التي عاشتها المرأة الغجرية في المجتمع العراقي.

٣. القسم التحليلي

٣–١. المفهوم الثقافي في خطاب شخصية الراوي للمرأة الغجرية

بات مصطلح الغجر في المجتمع العربي مفهوماً ثقافياً يعني بالكثير من المفاهيم ولا بد «من تأكيد العلاقة الجدلية بين المفهوم (حزمة المعارف والخبرات) والمصطلح، فالمفهوم يسبق المصطلح، والمصطلح يبلور المفهوم ويكثفه ويبرزه ويؤطّر وجوده» (عزيز ماضي، ٢٠٠٥م: ٢٠٥). لهذا في الخطاب الروائي رغم أنّ الشخصية لا يقصد بمعنى المصطلح الرئيسية، أمّا الخلفية الثقافية فقد تبيّن هذا القصد:

«ذلك آخر ما قالته ريما صديقتي وجارتي **الغجرية**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١١).

حاول الراوي أن يلفت انتباه المتلقّي بلفظ "صديقتي" ثمّ "جارتي" لكي يخفّف من حدّة لفظ "الغجرية" لكنه لم يفلح بهذا لأنّ لفظ الغجر في المجتمع العربي بات مفهومه غير صالح لبناء علاقة حميمة، فالمتلقّي قبل أن يلفظ المصطلح يتبلور في ذهنه مفهوم الغجر، والترحال، وباقي أوصاف الغجر «فالمصطلح ينمي المعارف والخبرات ويكثفها ويختصر الكثير من الوقت والجهد» (عزيز ماضي، ٢٠٠٥م: ٢٠٥).كما أنّ الروائي يضيف هذه التجربة من اللاوعي في السطر نفسه:

«وهي **تحزم حقيبتها وتغادر منزلها**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١١).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

فوظّف لفظة "الغجرية" ليبني المفهوم العام لشخصية الغجر«ولذا يعد ولادة المصطلح في حقل ما علامة على التطور والتقدم ومدى التحصيل في ذلك الحقل» (عزيز ماضي، ٢٠٠٥م: ٢٠٥). فمن هنا ترتّبت الرواية وبنت للمتلقّي مفهوماً خاصاً بجماعة خاصة. ثمّ يحاول الروائي أن يخلق تراجيديا لهذه المرأة ويريد أن يصورها ملكومة لأنّ عام ٢٠٠٣ بعد سقوط بغداد بيد الاحتلال الأمريكي، عمّت الفوضى، وظهرت جماعات مضادة للغجر وطردتهم من العراق، ولكن الروائي بأي لغة بيّن للمتلقّي هذا الوجع؟ نقرأ:

«كان نهاراً مغبراً وكئيباً، ذلك النهار النيساني من عام ٢٠٠٣ الذي ألقت فيه ريما نظرتها الأخيرة على منزل أسرتها...وهي تئن مردّدةً **بصوتها الشجي الحزين**: *لا وين حد الصبر؟* لا *وين أبقى انتظر*؟ لا *وين أروح*؟ لا *وين*؟ *لا وين أدير العين*» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١١).

يريد الروائي في هذا النص أن يأخذ بيد المتلقي إلى الحدث الأهم وهو طرد الغجر من العراق، ولكن يروي الأحداث وآهات ريما من خلال أغنية، وهي مطرودة من العراق، تغنّي بصوتها الشجي، من اللاوعي بيّن للمتلقّي بأنّها مغنية، صحيح بأنّ علاقة الغجر مع الغناء مسألة أساسية، لكن لا داعي بإقحام هذه الفكرة في بدايات الرواية، فالبعد الثقافي هو الذي يدير المفردات. رواية "لعنة كين" ركّزت على رقص الغجر وغناءهم في أكثر من مرّة إذن «لا يمكن تصور غجري دون آلة موسيقية. فالموسيقي بالنسبة للغجر هي بمثابة الصرخة المدوية على امتداد الدهور التي لامسوا خلالها أقسى أنواع العذابات.. والمعبّرة أيضاً عن شهوة الحياة التي طالما حلموا بها. وهي بذلك الهوية البديلة عن هويتهم الضائعة، إذ تحفل موسيقاهم بطاقة تعبيرية دون مدى وتنصهر في نغماتها أقصى حالات الألم والعشق في آن. وعرف عن الغجر ارتباطهم بالموسيقي عزفاً وغناء ورقصاً وكانت مواهبهم سبباً رئيساً في حصولهم على قدر من الصفح والتسامح. وليس للغجر لغة موسيقية مشتركة، فهم حفظوا الأغاني والموسيقى المحلية للشعوب التي شاركوها الحياة، وأضافوا إليها نكهتهم الخاصة، ونالوا بذلك الاعتراف ليغدوا جزءاً من الهوية الوطنية لموسيقي تلك الشعوب. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أصبحت هيمنتهم واضحة على الموسيقي ولم يعد بالإمكان الاستغناء عنهم، حتّى غدت الموسيقى من أرقى المهن التي يمارسها الغجري، كذلك أهمها كمصدر للرزق». (حيدر، ٢٠٠٨م: ١٧٣). الغناء المهنة الأهم عند الغجر، كما أنّ ريما غنّت في الرواية. ثم يكرّر المسألة قائلاً:

«لم تمضِ دقيقة حتى انفجرت باكية بصوتٍ عالٍ، بدأت **تنشد**: **معقولة القلب ينسى هواكم؟ أنتو أحباب قلبي ما أنساكم**». (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١٢).

فمن غير سعي وضّح للقارئ بأنّها مغنية ومن الغجر، لكي تكتمل الصورة بالنسبة لهذه الشخصية. وحتّى الديكور الذي يرتّبه الروائي يخدم الفكرة والنقد الثقافي يكشفها:

«أعاقت حركة السيارة قطع أثاث ممزقة، **وآلات موسيقية محطّمة**» (المصدر نفسه: ١٤).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

حاول السائق أن يمرّ من حي الغجر، لكن الآلات الموسيقية المحطّمة أعاقت حركته، فبهذه الصورة أراد الروائي أن يميط اللثام عن حياة الغجر المهنية ويظهر مهنتهم بصورة ملموسة للمتلقي من خلال الآلات الموسيقية. فالراوي من خلال خطابه حاول أن يبين العلاقة الوطيدة بينه وبين جارته الغجرية بيد أن النقد الثقافي كشف بأن هذه العلاقة غير محكمة وهشّة.-

٣-٢. جمالية المكان الروائي للمفهوم الثقافي

المكان هو العمود الأساس في الرواية، وهو الدعامة التي ترتكز عليها باقي عناصر السرد، كالزمن، والحدث، والشخوص سواء كانوا أساسيين أم ثانويين، فهو إمّا أن يكون نتيجة تجربة حقيقية يعيشها الروائي، أو أن يكون من عصارة خياله، لذا يكتسب أهمية كبيرة في الرواية، حيث يتحوّل في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كلّ العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، فهو ينقسم إلى عدّة تقسيمات، كالمكان اللامتناهي، والمكان الأليف، والمكان المشكلي. في رواية "لعنة كين" نرى المكان الحقيقي هو المكان المطلوب. الكمالية هو الحي الذي اتّفق عليه رجال الحكومات لاستقرار الغجر فيه. الكمالية «وتقع على طريق بغداد- بعقوبة القديم بمسافة ١٨ كيلومتر عن مركز العاصمة، وقد بدأت عملية استيطانها لأوّل مرة سنة ١٩٥٨، حيث استطاعت بعض الأسر المقتدرة مالياً شراء الأراضي من الملاكين فيها بأسعار رخيصة بلغت نصف دينار للمتر المربع الواحد.. ومع ذلك فقد شيدوا مساكنهم في الكمالية بمساعدة العراقيين». (الحديثي، ١٩٧٩م: ٥٢). ففي هذا الزحام وفي هذه الفوضى يعتمد بطل الرواية على سائق تاكسي لنقل ريما خارج المنطقة كي لا تغتالها العصابات، فالنقد الثقافي أسفر لنا عن هذا المعنى وبيّن لنا هذا الأمر قبل أن ينطق به الروائي قائلاً:

«شقت سيارة التاكسي طريقها عبر شارع المشجّر الذي يفصل حي الغجر عن مساكن العرب، إلا أن ريما ترجّت السائق أن يغيّر مساره ليدخل أزقة الغجر كأنها تريد توديع ديار الأهل. طلب مني السائق أن أرشده لما تريد، قال إنه ليس من أهل **الكمالية**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١٤).

نرى مصطلح "الكمالية" يبرز للمتلقي، كما يغلب مفهوم آخر على هذا المصطلح وهو تجمّع الغجر في هذه المنطقة. فالسائق تعمّد بأن لاينسب نفسه للمنطقة التي يقطنها الغجر وهذا الأمر تكرّر مراراً سيّما عند دخول الطلاب للجامعة، حيث هناك من خاطبهم قائلاً: «اسمعوا شباب أنتم طلاب جدد في الكلية، هنا مجتمع مختلف تماماً عن المدرسة الثانوية، طلاب وطالبات من معظم أحياء بغداد ومن محافظات الجنوب والشمال، نحن أبناء الكمالية ندرك أن فيها عوائل محترمة شريفة وقبائل معروفة، ليس كل من يسكن الكمالية هو غجري، هذه الحقيقة أعرفها أنا مثلما تعرفوها أنتم» (المصدر نفسه: ٥٧). نشاهد في سياق

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

هذه الجملة أنساقاً ثقافية مهمّة، أوّلاً: يقول الراوي "ندرك أن فيها عوائل محترمة شريفة وقبائل معروفة" فحسب سياق النص ومضمونه، العوائل الشريفة لدى الراوي هي العوائل العربية أما العوائل غير الشريفة فهي العوائل الغجرية، ثانياً: جملة "ليس كل من يسكن الكمالية هو غجري" تشير إلى أن الراوي يهدف الى استثناء نفسه وإبعادها عن الغجر، فحسب مضمون الرواية أن الغجر ليسوا من الأشراف. كما أن شراء البيت في الكمالية وبجوار الغجر سبّب شيئاً من الإحراج لأم الراوي، مما جعلها تتساءل عن السبب ولماذا جنب الغجر بالذات، فيردّ عليها والد الراوي بذريعة أنه لم يجد أرخص من هذا البيت، كما سيبقى لهم مبلغ لشراء سيارة:

«لم أجد أرخص منه، سيبقى لنا مبلغاً نشتري به سيارة، **ثم من قال أن الغجر باقون هنا للأبد**» (المصدر نفسه: ١٧)

بما أنّ العائلة اشترت هذا البيت في السبعينات، وكانت تلك الأعوام أعواماً ذهبية للغجر في العراق، حيث استقرّوا، واشتروا عقارات وأصبحت لهم هوياتهم كمواطنين عراقيين، بيد أن الراوي يشكّك في إبقاء الغجر في العراق، وهذا حصيلة الفكر الثقافي من أنّ الغجر لا ينتمون لأرضٍ ولا يحق لهم أن يسكنوا أرضاً وإن سكنوها فهذا يعني سكوناً مؤقتاً وغير دائم. إذن الكمالية أصبحت المكان الجغرافي للغجر وهو المكان الذي تدور منه الأحداث «فإذا ذكر اسم المدينة مثلاً فنحن ندرك تلقائياً الحدود الجغرافية لهذه الأماكن، وإن التعامل مع المكان لاينحصر في استعراض محتوياته وصوره بل ينبغي أن يعايش كتجربة، ولن تتم الكتابة عن مكان بنجاح، ما لم نعان من هذا المكان» (رستم بورملكي، ٢٠١١م: ٢٠). فالروائي جعل شخصيات الرواية في حقبة زمنية معينة وفي مكان معين لكي ينقل للقارئ معاناة الغجر بصورة عامة والمرأة الغجرية بصورة خاصة. وفي شاهد آخر عندما أراد الراوي تعليم ربما التاريخ، أخذ يروي أحداثاً تختص بالغجر وكيفية ترحالهم قائلاً:

«كين كان مجرماً، قتل شقيقه، فغضب الله عليه، وكتب على نسله وذريّته التشرد والترحال والتشتت في الأرض إلى يوم القيامة. ولهذا السبب، عاش الغجر حياتهم متنقلين بين الدول دون أن يستقروا في مكان. بدت ربما أكثر جدية، وقالت: **لكننا مستقرين في الكمالية!** قلت لها: **أتمنى أن يدوم استقراركم في الكمالية**» (المصدر نفسه: ٣٨).

إذاً من خلال هذه السطور اختار الروائي اسماً لروايته، فكين هو جد الغجر الذي عصى الله فعاقبه بالتشرّد والترحال، ومن خلال النص المضمر يظهر لنا الروائي عقيدة الراوي ودرايته بالأمر الذي سيحصل؛ حيث أنه من ضمن الحزب الذي يجدّ لارتقاء العنصر العربي على العنصر الغجري في الكمالية، كما تم قبوله بقسم الإعلام في الخلية الحزبية في الكمالية: «قصدت منزل مسؤول الخلية الحزبية الرفيق أبو عروبة... ذات

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

مرّة عيّرني بأنه هو صاحب الفضل بقبولي بقسم الإعلام، واصفاً ذلك بالطوق الذي ينبغي أن أعلقه فوق رقبتي» (المصدر نفسه: ٦٥) فالراوي هو من ضمن الخلية الحزبية التي تسعى لطرد الغجر من الكمالية، وتألّه العِرق العربي على العرق الغجري في المنطقة، وحتّى لو أراد عدم الإفصاح عن هذه المسألة، فالنقد الثقافي سيكشفها، ثمّ أن اسم قائد الخلية الحزبية يدلّ على العنصرية: فـ"أبو عروبة" اسم يحمل في طيه دلالات عنصرية ممقّتة للغجر في حدّ ذاته.

٣-٣. المرأة الغجرية العاملة

يحاول الراوي في رواية "لعنة كين" أن يروي معاناة الغجر، والأسباب التي جعلتهم يتركون بيوتهم وعقاراتهم وممتلكاتهم خلال تلك السنوات ويغادرون العراق، لكن في المضمر، هناك أنساق اجتماعية تكشف ما يضمره النص، سيّما تفخيم وتضخيم الأنا، لذا يحاول الرواي أن يبيّن للقارئ أنّ ريما الغجرية أصبحت صديقة العائلة، فما هو دورها في البيت وبين أفراد العائلة:

«اعتادت ريما على مشاركتنا أنا وخولة فطورنا، كنا نجلس في حديقة المنزل، أسفل النخلة، نتبادل الأحاديث في شتّى الموضوعات، نشرب الشاي والقهوة. أصبحت تتصرّف وكأنّها واحدة من أسرتنا، **تدخل المطبخ، تعد الشاي وتجلبه لنا** مع قطع الجبن أو البيض المسلوق وأرغفة الخبز» (المصدر نفسه: ٣٢).

إذا أمعنّا النظر في هذا النص نجد السياق الاجتماعي، يتحدّث عن علاقة حسنة بين ريما والعائلة، هذا في النص الظاهر، أمّا في النص المضمر فنحن أمام جملة "تجلبه لنا" التي تسفر عن المضمر وكيفيّة المعاملة مع ريما، فبما أنها غجرية والعائلة عربية يجب عليها أن تلبي أوامر العائلة وتقوم بأداء متطلباتها كخادمة، وهذا ما نراه في النص الظاهر أيضاً:

«تنفذ ما تطلبه خولة من واجبات بيتية» (المصدر نفسه: ٣٤)

إذن نرى بأنّ الراوي وأخته خولة يستغلون ريما كخادمة لحاجتها إليهم. ثمّ أنّ النسق المضمر لم يكتف بهذا التضخيم للأنا، فيحاول أن يبيّنها بالشكل والمضمون:

«الآن أصبحت أعرف معلومات تفصيلية عن الغجر، أصولهم، طقوسهم، لغتهم، إلا أن الصعوبة التي تواجهني هي كيفية إيصال تلك المعلومات إلى ريما التي لا تجيد القراءة والكتابة **وذات مستوى متدني في استيعاب ما سأقوله لها**» (المصدر نفسه: ٣٢)

الرواي يبيّن للمتلقّي أنّه يعرف الكثير عن تاريخ ريما وقومها، ولكن عدم فهمها وتدني مستواها يعيق مهمته حيث يحاول أن يعلّمها التاريخ، وهذا الأمر ليس إلا تضخيم الأنا والحط من منزلة الآخر الغجري. فالأمية هي المسألة الأساسية عند الغجر و«يتّضح من قانون وزارة التربية رقم ١٢٤ لسنة ١٩٧١ في المادة السادسة الخاصة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

بالتعليم الابتدائي والثانوي، عدم اشتراطه في القبول أن يكون عراقي الجنسية مما يفيد أن من حق الاجنبي التعلّم في مدارسه الابتدائية والثانوية، ولكن قانون تنظيم أحوال الأجانب في العراق رقم ١٧٧ لسنة ١٩٧٤ في المادة الثانية منع الأجنبي المقيم بصورة غير شرعية من القبول في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية». (الحديثي، ١٩٧٩م: ١٦٣). ولم ينته تحقير الغجر إلى هذا الحد، بل يكرره الراوي قائلاً:

«بعد تعلم ريما القراءة والكتابة وتحسن مستوى استيعابها، قررت أن أعرّفها بأصول الغجر وتاريخهم لكن ليس بصيغة معلومات تاريخية قد **لا تفهمها**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٣٧).

حاول الراوي إظهار صورة مسالمة له ولأخته، من خلال حبهم للجار، لكن المضمر في الرواية يدل على خلاف ذلك، فبما أنّ ريما غجرية، يعتقد الراوي أنّها لا تفهم ولا تستوعب الأمور، ولا يذكر لنا دليلاً على اعتقاده، فدليله الوحيد هو غجرية ريما. ثمّ رغم أنّ الرواي يبيّن لنا بأنّ عائلة الغجر مسلمون: «حفظت العديد من الآيات القرآنية، علمتها خولة الصلاة» (المصدر نفسه: ٣٤) عندما أرادت ريما ردّ الجميل لخولة وأخيها، لأنّهما تطوّعا بتعليمها القراءة والكتابة، يقول لها الراوي:

«لا أريد منك شيئاً، زكاة العلم تعليمه، هكذا يقول نبينا محمد(ص)» (المصدر نفسه: ٣٥).

يشدّد الراوي على لفظة "نبينا" والنص المضمر في هذا السياق هو أنّ الغجر يعتنقون الأديان حسب المناطق. فهناك من بحث في معتقدات الغجر وقيل يعتقدون بمبدأين مبدأ الخير ومبدأ الشر. «الإله عند الغجر والخالق حيث هو مبدأ الخير والجمال يسمّى بـ"o''del" والشيطان وهو مبدأ الشر سُمّي بالـ"o''bengh"، بعقيدة الغجر مبدأ الخير ومبدأ الشر يحملان طاقة متعادلة ولا يستطيع أحدهم النيل من الآخر، لهذا تراهما دائماً في صراع» (ذكاء، ١٩٥٩م: ١٠). يعتقد الغجر أنّ الخير من الإله والشر من الشيطان، والطبيعة بمثابة معبد، ولكن لا حاجة لطقوس أو مراسم خاصة، ولهذا لا يحتاجون إلى رجال دين، ولا يعتقدون بمن يبشرهم أو ينذرهم، ومن هذا المنطلق «لا يعتقدون بالمعاد ويسخرون من المذاهب ويرونها مضحكة لمسألة الحدود» (المصدر نفسه: ١٠-١١). فالراوي يبيّن لنا هذه الأمور من اللاوعي والنقد الثقافي يكشفها.

٣-٤. نسق الأنوثة/ والمرأة في ثقافة الشخصية الراوية للحدث

٣-٤-١. المرأة فريسة الرجل الشرقي

في رواية "لعنة كين" تدور الأحداث حول عوائل غجرية في الكمالية حيث الكثير من هذه العوائل تمتهن الدعارة حسب قول الراوي، وكانت "ريما" جارة الراوي من عائلة غجرية محترمة، بعيدة عن هذه الممارسات، ولكن من خلال لاوعي الراوي وفي مضمر قوله، وحصيلة أفكاره يظهر لنا عكس ذلك. حيث قصّ الراوي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

لربما قصّة بهرام جور مع الغجر، عندما جاء بهم للترفيه عن شعبه مجاناً. فحول النساء يذكر لنا الراوي:

«بعد سنة من عملهم هذا، ترك هؤلاء القوم الزراعة واستهلكوا البذور، وأصبحوا من دون مصدر للعيش، فغضب الملك عليهم، وأمر بالاستيلاء على حميرهم وآلاتهم الموسيقية.... قالت ريما: عندي ملاحظة. —ما هي؟ –أظن أنها صحيحة، بدليل أن رجالنا إلى الآن كسالى، لا يعملون، **يعتمدون على النساء في معيشتهم**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٤٤).

أظهر الروائي بطريقة واعية أو غير واعية نسق العبودية للمرأة، وهذا النسق ما هو إلّا امتداد للفكر الجاهلي والاستيلاء على المرأة. فجمال حيدر أشار إلى هذا الأمر وقام بتأكيده في كتابه قائلاً: «حين وصلوا منحهم الملك بهرام غور البذور والماشية وخصص لهم الأرض ليحصلا بواسطتها على رزقهم للعمل على ترفيه شعبه من دون مقابل. مع نهاية العام الأول ترك الغجر الزراعة بعدما استهلكوا البذور، ليغدوا بالتالي عبئاً على البلد الفقير» (حيدر، ٢٠٠٨: ٢٣). هذه الفكرة لم تأتِ اعتباطاً، بل هناك فكرة تكمن وراء هذه الرواية وهذا النص. وفي مقابل المرأة/ الفريسة يأتي الفحل/ الشيخ، الذي له الهيمنة والسيطرة في الرواية، فمثل هذا النسق ربّما يكون ممتدّاً من العصور القديمة. ففي العصر الجاهلي وفي البيئة العربية كانت هناك قوانين يتحلى بها الشيوخ ويهيمنون من خلالها على أفراد القبيلة، ولقدرتهم على أفراد قبيلتهم أصبحوا مرموقين في المجتمع العربي، وبعد ما منّ الله على البشرية بالإسلام، اندثر الكثير من تلك القوانين الجاهلية، ولكن هناك أنساق بقيت بين العرب، أهمها مسألة الشيخ والفحل المتسيّد، ففي رواية "لعنة كين" ركّز الراوي على الشيوخ بشكل ملموس، قائلاً:

«المربع الأول من المدينة الممتد من طريق بعقوبة القديم إلى السفارة، مسكن محمود اللايح الذي أضحى مركز ثقل الحي الغجري، تصنع فيه القرارات بحضور **شيوخ الغجر الأربعة**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٤٨–٤٩).

الشيخوخة في الثقافة العربية لا تعني العجز بل التبجيل، (لسان العرب، مادة الشيخ) وينقل لنا الغذامي من العقد الفريد قائلاً: «آخر عمل الرجل خير من أوّله، يثوب حلمه وتثقل حصاته وتحمد سريرته وتكمل تجاربه، وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها ويذرب لسانها وتعقم رحمها» (الغذامي، ١٩٩٨م: ٥٤) «ولذلك دعت الثقافة الرجل الذي بلغ من العمر عتيا شيخاً بما يوحي بالكمال والرزانة، ودعت المرأة عجوزاً من العجز والضعف والخور، والملاحظ أن الثقافة لا تتحدث عن عجز الرجل وبخاصة العجز الجنسي، مثلما تتحدث عن دمار الخصوبة عند المرأة، لأن الثقافة تعتقد أن الرجل يظل ذا خصوبة وهو شيخ» (أسحم، ٢٠١٩م: ١٩). وهذا ما وقع فيه الراوي. ثمّ يجب على الشيخ أن يتقرّب من الحاج صالح حيث يملك السلطة والأموال:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

«توج الحاج سلطته على الغجر بزواج ثالث من **الغجرية الجميلة أصايل ابنة شيخ عشيرة البوطحيمي** أحد **الشيوخ** الأربعة، وبذلك أسقط آخر حاجز اجتماعي يعزله عنهم» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٤٩).

فالشيخ يضحي بأهل بيته ويبذل من الأموال مايبذل لكي لا يفقد العلاقة الحميمة مع الحاج صالح، وهذا النمط الثقافي ينحدر من العصر الجاهلي في الثقافة العربية. شخصية الراوي أيضاً يرى المرأة الغجرية وغيرها فريسة سهلة المنال، وفي دوامه يبحث عن اصطياد النساء فيقول: «خلال هذه السنين تعرفت على زميلات **وصديقات**، **أحببت**، تزوجت، وفشلت، إلا أن بارومتر علاقتي بريما **ظل ثابتاً**، لم يتأثر بالمتغيرات والظروف، **لم تكن الأجمل من بين نسائي**، كانت الأقرب إلى قلبي» (المصدر نفسه: ١٦). لا شك هذا الأمر غير ذلك الشيء الذي كان الراوي يتحدث عنه بأنّه يبحث عن الخير وتعليم المرأة واحترام حقوقها.

ثمّ تكون المرأة آلة بيد الرجال في المجتمعات الرجعية الباقية على القديم في الأفكار والعادات، دون مسايرة التطور، فحسب العقيدة الرجعية هناك من يستطيع إلحاق الضرر بالرجال من خلال المرأة، لهذا تتصارع الفحول لكي تظهر قدراتها على الآخرين، أما المرأة فما هي إلّا دمية يتنازع عليها الآخرون، كما هي الحال في رواية "لعنة كين". ففي هذه الرواية يحاول الراوي أن يعرب عن نفسه بصورة حسنة، تلتمس الإحسان وتحبّ الخير للجار، ولكن في النسق المضمر يظهر لنا خلاف هذا الأمر، فعندما كان يروي أساطير الغجر لريما، نقرأ الحوار التالي:

«لاحظت تلهف ريما لسماع المزيد من أساطير الغجر، كان لديها شوقاً لاكتشاف جذور أجدادها وطقوسهم الأولى وكيف انتشروا في العالم؟ وعلاقتهم بالرقص والغناء؟ قالت بتوسل: أريد أسطورة أخرى. — **مجاناً؟** – اطلب. —**ترقصين واحدة من هذه الرقصات**: الفلامنكو، الهيوه، الهجع» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٤٣).

فالنسق الظاهر هو طلب الراوي من ريما أن ترقص، أما النسق المضمر فهو أنّ الرجال كلهم سواء في هذه الرؤية تجاه المرأة، يريد أن يفتك بها، وأن يئدها، وفي أحسن الأحوال يريدها أن تتحوّل إلى دمية بين يديه يلعب بها كيفما يشاء. لذا تتناقض الرؤى عند الراوي فتارة يقول: «لا أريد منك شيئاً، زكاة العلم تعليمه، هكذا يقول **نبينا** محمد(ص)» (المصدر نفسه: ٣٥). وتارة يقول: لا دراسة مجاناً، بل يجب أن ترقصي لي. فهذا التذبذب حصيلة الخلفية الثقافية والنسق الجاهلي الذي يعيشه الفرد العربي في مجتمعاته الحضارية شكلاً والرجعية فكراً. وفي مقابل هذا، نرى الفحل متألّهاً في الرواية عكس المرأة إذ هي دمية. حين نبحث في سياق الأوامر والنواهي للرواية وفي خطاب الرواية يكون هذا الخطاب موحياً أنه خطاب قوة أعلى مسيطرة على المنهي والمأمور، ربّما الفحل ذكر ويتألّه على الأنثى، وربّما الشخص عربي ويتألّه على الشخص الغجري، وهذه الخطابات منحدرة من ثقافة قديمة عند الرجل العربي. يحاول الراوي أن يظهر صورة متألّه من

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

نفسه في الرواية ففي حواره مع سعاد وخولة نقرأ:

«قالت سعاد: يعجبني بك اتّزانك وعدم تملقك النساء، لا أحب الشباب السخفاء الذين يجرون وراء النساء لكسب ودّهن بأي طريقة. علقت خولة: أخي شخصية مميزة. –جداً، بس ما زال يعاملني برسمية. هكذا ردّت سعاد بنبرة غلب عليها الدلع والتوسل. –**هكذا هي طبيعتي، لاأحب الاختلاط كثيراً**، أقضي وقتي بالقراءة وكتابة الشعر. –**الله، تكتب الشعر**..» (المصدر نفسه: ٥٤).

الراوي الفحل بين اثنتين من النساء، خولة وسعاد، يظهر الأنا المتضخمة لكي يتألّه على العنصر النسوي الحاضر، لهذا رغم تصنّعه لهذه الشخصية فقد حسّ بالنصر على العنصر الأنثوي.

٣-٤-٢. المرأة الأمية والجاهلة في رواية لعنة كين

لم يكن الرجل يؤمن أن المرأة ذات معرفة، وتكون «معرفتها ضئيلة هزيلة، إذ شاع لون من التعليم يساوي الجهل نتاجاً وهو تعليم الشيخ» (الضمور، ٢٠١١م: ٢٣). والرجل يعد المرأة كائناً ضعيفاً جاهلاً لا يقدر على التفكير والتأمل، وتتصرف تصرفاً ساذجاً غبياً وهذه الرؤية النسقية موجودة في الرواية على العكس الذي يحاول شخصية الراوي أن يبيّن للقاريء بأنّه يحترم المرأة ويسعى إلى تعليمها ويظهر نفسه من أنصار المرأة «الذين رأوا أن للمرأة قيمة كبيرة في المجتمع فبدأ أنصار المرأة بالتحرّك لإخراج المرأة إلى حياة فضلى لتنمّي نفسها ومجتمعها» (المصدر نفسه: ٢٣). ومن النماذج الثقافية الموجودة في النص نقرأ:

«الآن أصبحت أعرف معلومات تفصيلية عن الغجر، أصولهم، طقوسهم، لغتهم، إلا أن الصعوبة التي تواجهني هي كيفية إيصال تلك المعلومات إلى ريما التي لا تجيد القراءة والكتابة **وذات مستوى متدني في استيعاب ما سأقوله لها**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٣٢).

الرواي يبيّن للمتلقّي بأنهُ يعرف الكثير عن تاريخ ريما وقومها، ولكن عدم فهمها وتدني مستواها يعيق مهمته حيث يحاول أن يعلّمها التاريخ، وهذا الأمر ليس إلا الحط من منزلة المرأة. ولم ينته هذا التحقير إلى هذا الحد، بل يكرره قائلاً:

«بعد تعلم ريما القراءة والكتابة وتحسن مستوى استيعابها، قررت أن أعرّفها بأصول الغجر وتاريخهم لكن ليس بصيغة معلومات تاريخية قد **لا تفهمها**» (المصدر نفسه: ٣٧).

بما أنّ ريما إمرأة، يعتقد الراوي بأنّها لا تفهم ولا تستوعب الأمر، ولا يذكر لنا الدليل، ويبقى الدليل الوحيد هو: لأنّها امرأة غجرية. إذاً الراوي يقرّر أن ريما لا تفهم، ولا تستوعب وليست سريعة البديهة وهذا نسق جاهلي وصل إلينا عبر الأجيال وهو أنّ «المرأة ليست سريعة البديهة وليس لديها القدرة على الربط بين الأشياء وهي رؤية أساسها الثقافة الموروثة الجاهلية». (أسحم، ٢٠١٩م: ٢٢). وليست وحدها ريما حسب كلام الراوي جاهلة، بل حتّى باقي النساء لا يعرفن الكتابة والقراءة:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

«اتسعت ثروة الحاج وازدادت أملاكه أفقياً وعمودياً، لم يستطع لوحده متابعة الجوانب الحسابية تدوينياً وتحديثاً، ولما لم يكن يثق **بقدرات زوجاته لتدني مستوياتهن التعليمية...**» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ٥١).

يختار الراوي ألفاظاً تدلّ على أنساق ثقافية مضمرة حيث لم يقل لا يعرفن الكتابة والقراءة، بل يختار لفظ "تدني المستوى" لكي يبين الجهل العميق والمترسّب للمرأة. وفي خلاف هذا النسق، نجد النسق الذكوري الفخم يبرز في موازات هذا النسق. عادة النقد الثقافي يكشف لنا النصوص المضمرة والعقيدة الراسخة في اللاوعي البشري، ومن هذا الجانب نستطيع أن نكشف أموراً عكس ما يروّج لها الكاتب، مثلاً في رواية "لعنة كين" يحاول الراوي مساعدة "ريما" لكي تتعلّم وتعرف حقوقها، لهذا يروي لها قصصاً أساطيرية مختصّة بالغجر، منها قصّة النساء الراقصات في المعابد:

«لم يقتصر عمل نساء الغجر على تقديم المتعة الجنسية، بلّ تضمن أيضاً الغناء والرقص وخدمة المعابد، وبمرور الوقت توسعت دائرة المتعة الجنسية لتمتد من الكهنة إلى الآخرين الذين يطلبونها مقابل أجور يستقطع رجال الدين قسماً منها لهم. قاطعتني: هل أكملت؟ أريد أن أسألك؟ تفضلي اسألي. هل ما قام به الكهنة عملاً صحيحاً، **أم خداع واستغلال لنساء جاهلات؟**» (المصدر نفسه: ٤٢).

يصف المرأة بالجاهلة، وقبل هذا أيضاً ذكر بأنّ ريما لا تستوعب الأمور، وعندما طلبت منه أن يروي الأسطورة لأهلها، يطلب منها:

«أريدك أن تعيد كلامك أمام أمي ومديحة، ممكن؟ -آسف أنتِ انقلي معناه لهما. —لكن أسلوبي ليس بمثل طريقتك المقنعة. - المهم **انقلي الفكرة بأمانة**» (المصدر نفسه: ٤٢-٤٣).

يطلب الراوي من ريما أن تنقل القصة بأمانة وكأنه لا يثق بعقلها، وهذا الأمر يأتي من خلفية ونسقية ثقافية، حيث الفحل يجد المرأة ضعيفة، وجاهلة، لاتصلح إلا للشبق وهو حر في ما يختار من النساء، فمثل هذه الأمثلة طبيعية في المجتمع الذكوري. ولا ننسى بأنّ المرأة الجاهلة ليست صفة النساء اللواتي حُرمن من التعليم، بل المرأة حتّى لو تعلّمت يراها الفحل جاهلة لأنّها تجهل المعاملة والمخاطر حسب فهمه للأمور. كما نرى ريما الغجرية تعلمت ولكن لايزال يراها جاهلة.

٣-٤-٣. جسد المرأة الشبق عند الرجل الشرقي

هناك من يرى عنصر الفحولة متأله على عنصر الأنوثة «وأن المرأة لا تعيش إلا للجنس والمتعة، وهو هدفها الرئيس ولذلك انعكست هذه الثقافة على الشعر» (أسحم، ٢٠١٩م: ٢٦). يروي الهنداوي أموراً تختصّ بالغجر القاطنين في الكمالية والمسائل المختصّة بالنساء كقوله:

«توطدت العلاقة بين الضباط والغجر كثيراً، **اختار بعضهم عشيقات أو محظيات** وأغدقوا عليهن الأموال. **أما رجال الغجر فقد استقّووا بضيوفهم الجدد**، واستعانوا بهم إنجاز مصالحهم في دوائر الحكومة»

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

(الهنداوي، ٢٠١٨م: ٧١).

نرى في هذا الشاهد مسألتين مهمتين: الأولى المرأة وأنّها خلقت للجنس فحسب، فالراوي يأتي على ذكر هذه القضية دون أن يركّز عليها وكأنّها قضية مألوفة، المسألة الثانية وهي استقواء الرجال بعد ما قدّموا نساءهم كوجبة شهية للضباط. فقد استطاع الغجر الحصول على الجنسية العراقية وتثبيت العقارات بأسماءهم، وإخراجها من براثن الحاج صالح الانتفاعي، كما قد جنوا ثروات هائلة جراء تهافت الضباط على منازلهم:

«**جنت بعض الأسر الغجرية ذات النساء الجميلات** ثروات كبيرة جراء تهافت هؤلاء على منازلها، مثلما حظيت بمكانة متميزة مستمدة من مكانة هؤلاء، مكانة منعت أجهزة الشرطة المحلية والأمن والمنظمات الحزبية من التعرض للغجر أو المساس بأحد منهم» (المصدر نفسه: ٨٩).

فليس الرجال وحدهم من يروجون الدعارة، بل حتّى النساء يمتهنّ الدعارة، قالت ريما لبطل الرواية:

«جاءتنا امرأة جميلة لا تستطيع البقاء كثيراً، لم أجد أحداً يستحقها غيرك.- كم طلبت من أجور؟» (المصدر نفسه: ١٠١).

فليست المرأة الغجرية وحدها تصبح ضحية عند الراوي، بل حتّى نساء عربيات يمارسن هذه الدعارة حسب الرواية. وأخيراً يظهر الراوي نفسه بالصورة الحقيقية وبالظاهر غير المضمر:

«سألت ريما عن هذا التحول المهني، أجابت: لايُغلق باب للرزق إلا يُفتح آخر. –ما حصة عائلتكم من الرزق الجديد؟ –مديحة ترقص وتغني أحياناً. –هل تجيد مديحة الغناء؟ –تجيد كل شيء. –ماذا تقصدين؟ –الذي تقصده أنت. أنتِ خبيثة. –أنت شيطان، مشتهي ومستحي. – **مشتهيكِ أنتِ**» (المصدر نفسه: ١٠١-١٠٢).

فظهر المضمر بصورة واضحة وملموسة لكي يعرب عمّا يفكّر به الراوي وهو ممارسة النسق الجاهلي على المرأة، ربّما من غير وعي، ويخضع هذا التصور للنسق الثقافي الشعبي الذي ترجع أصوله إلى القديم كما نجد ذلك في كتاب "الروض العاطر" لمحمد بن محمد النفزاوي الذي يصفه الغذامي بأنه يمارس إرهاباً فكرياً ولغوياً ضدّ القارئ وضد المرأة، وهو يستعين بالروايات الشعبية التي تصور المرأة كائناً شبقاً لا حدود لشبقه، وأنها مجرد جسد خاوٍ من العقل والحكمة، وأنها لا تفكّر منذ بلوغها إلا بما يشبع غرائزها. (الغذامي، ١٩٩٨م: ١٢). ولكي يستطيع الفحل الوصول إلى فريسته يجب أن يكون حراً، لهذا تظهر حرية الفحل بشكل لافت في الرواية. للرجال في الثقافة العربية القديمة حرية لا تحظى بها النساء، فيستطيع الرجل أن يصبح زير النساء، وهذا يُعدّ فخراً له، فنرى الراوي في هذه الرواية يشير إلى حريته قائلاً:

«خلال هذه السنين تعرفت على زميلات **وصديقات**، **أحببت**، تزوجت، وفشلت، إلا أن بارومتر

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

علاقتي بريما **ظل ثابتاً**، لم يتأثر بالمتغيرات والظروف، **لم تكن الأجمل من بين نسائي**، كانت الأقرب إلى قلبي» (الهنداوي، ٢٠١٨م: ١٦).

فرغم أنّ الراوي كان متزوجاً إلّا أنّه حافظ على علاقته بريما، أي ارتكب خيانة زوجية، فهذه حرية الرجل الجاهلي و«الحرية بالنسبة للرجل الجاهلي أن يعمل ما يشاء بلا عقاب أو حساب، وهي بهذا المفهوم نوع من أنواع الفحولة، وهذه الحرية تشكّل خطراً على المرأة خاصة، لأنه لا يقتنع بواحدة» (أسحم، ٢٠١٩م: ١٧). من خلال هذا الشاهد، تظهر الأنساق الثقافية المضمرة للروائي تجاه المرأة الغجرية وغيرها من النساء حيث يصف للقارئ تجربته الغرامية مع الكثير من النساء وتعدد الصديقات، ومن هنا يتبيّن لنا بأنّ الراوي لا يرى في المرأة إلّا المتعة واللذة.

٤. النتائج

من خلال قراءتنا لرواية "لعنة كين" للروائي العراقي فوزي الهنداوي اتّضح لنا بأنّ الرواية مليئة بالأنساق الثقافية وقد اخترنا خطاب شخصية الراوي (بطل الرواية) لهذه الرواية وكيفية معاملته مع المرأة الغجرية فوجدنا في الظاهر أنّه يحب المرأة ويحترم الأنوثة ويثق بقدراتها، أمّا في المضمر فقد كشفنا أنه يمجّد الفحولة ويحقّر الأنوثة، فالرواية وشخصية الراوي تعبّران عن ثقافة المجتمعات العربية حيث تنغمر في الحضارة والحداثة شكلاً، أمّا في المضمون والمضمر فإنها تفتقر للحداثة، في هذه الرواية حيث كانت المرأة موضوعاً رئيساً فيها، نجد تأثير الفكر الفحولي على شخصية الراوي في معاملته للمرأة الغجرية إذ يمهّد المكان المناسب والمكان منطقة "الكمالية" لكي تظهر الأنساق المضمرة حيث يرى المرأة الغجرية عاملة لا أكثر، وهي من الممكن أن تصبح فريسة الرجل الشرقي، كما أنّها أمية وجاهلة وبما أنّها ضعيفة وانعدام الأمن في تلك الحقبة فمن الواجب حمايتها، كما يوحي لنا بنظرته تجاه المرأة وإنه يراها لا تصلح إلّا لإشباع الغرائز الجنسية، وهكذا تظهر لنا كل الأنساق الثقافية المضمرة التي كانت موجودة في المجتمعات القديمة حيث ترى المرأة جسداً مغرياً خلق للاستمتاع فقط، فالراوي يؤكد على هذه الرؤية الثقافية في حواراته الخطابية، كما يدلّ معجمه اللغوي على ذلك أيضاً، ففي طيّ مفرداته لا نرى ما يدل على كيان المرأة العقلي والعلمي والمعرفي والروحي، إنما نرى ألفاظاً تشيد بالجسدية، والحيوانية، والشهوانية ودالّة على صلاح المرأة وفلاحها في حضور الفحل. أمّا النسق الذكوري فقد وجدناه حاضراً في النسق الظاهر والمضمر عند الراوي حيث يدلّنا على ما يكمن في باطن الراوي وهو حصيلة هذا المجتمع العربي إذ ينظر للمرأة بهذه العين الوضيعة. ومن خلال قراءتنا الدقيقة لهذه الرواية وجدنا:

إنّ الراوي لم يحد النظرة السائدة إلى المرأة الغجرية بوصفها كائناً شبقاً فحسب، بل زاد على ذلك وبيّن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

بانّ المرأة لا تمتلك شيئاً للتعويض غير جسدها، وقد تتعامل بجسدها لردّ الجميل، لهذا في القراءة الأولى لهذه الرواية يتوهم المتلقّي بأنّ الراوي يبحث عن تخليص المرأة الغجرية من محنتها، لكن بعد ما كشفنا المضمرات الثقافية اتّضح لنا بأنّ الراوي هو من يربي على المرأة الغجرية في معاناتها، حتّى أنّه يتّفق مع عصابات ليتألّه العِرق العربي على العِرق الغجري في الكمالية، وفي الأخير تكشف لنا الأنساق الثقافية بأنّ الراوي يرى المرأة الغجرية كائناً شبقاً، ضعيفاً، وجاهلاً، لا تصلح للنهوض بها لأجل صرح المستقبل.

ظهرت المرأة الغجرية في رواية "لعنة كين" بصورة كائن ضعيف، بعقلية جاهلة وبسيطة، تحتاج إلى عنصر الرجولة للحصول على الأمان، ولا تصلح إلا لمناوشات جسدية.

بما أنّ الرواية زخرت بدور الأنوثة أكثر من الفحولة، وحاول الروائي أن يجعل ربما مركز ثقل الرواية، بيد أنه لم يفلح بهذا الأمر، فمن اللاوعي غزر ثقل الفحولة في الرواية وتغلّبت على الأنوثة، وظهر الرجل بصفة متألّه ومصدر أمان للمرأة.

المصادر والمراجع

[١] أسحم، أحمد قاسم، (٢٠١٩م): «النسق الثقافي المضمر في شعر نزار الخاص بالمرأة ديوان (أحلى قصائدي- نموذجاً»، **مجلة بحوث جامعة تعز**، العدد٢٠، صص ٦- ٤٠.

[٢] الحديثي، طه حمادي، (١٩٧٩م): ***الغجر والقرح في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية***، ط١، الموصل: نشر جامعة الموصل.

[٣] حيدر، جمال، (٢٠٠٨م): ***ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب***، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[٤] ذكاء، يحيى، (١٩٥٩م): ***كولي وزندكي او***، ط١، تهران: هنرهاي زيباي كشور.

[٥] رستم بورملكي، رقية، (٢٠١١م): «تجليات المكان في شعر عزالدين المناصرة»، **مجلة العلوم الانسانية الدولية**، ع١٨ (٣)، صص١٧-٣١.

[٦] الضمور، يوف عبدالمجيد، (٢٠١١م): **صورة المرأة في شعر خليل مطران**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الأدب، جامعة مؤتة.

[٧] الغذامي، عبدالله، (١٩٩٨م): **ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[٨] الغذامي، عبدالله، (٢٠٠٥م): ***النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية***، ط٣، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[٩] كاهه، عليرضا، خليل برويني، وكبرى روشنفكر، (٢٠١٤م): «الواقعية الجديدة ومكوناتها في رواية

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم»، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية**، السنة٢١، العدد١ (٢)، صص٥٧- ٧٩.

[١٠] ماضي، شكري عزيز، (٢٠٠٥م): **في نظرية الأدب**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

[١١] ميرقادري، سيد فضل الله، وامين نظري تريزي، وخاطره احمدي، (٢٠١٩م): «السرد الاجتماعي في رواية العودة إلى المنفى»، **مجلة دراسات في العلوم الانسانية**، ع٢٥، مج٢، صص٤٥-٦٥.

[١٢] الهنداوي، فوزي، (٢٠١٨م): **لعنة كين**، ط١، بغداد: دار اس ميديا.

References

[1] Asham, Ahmed Qassem, (2019). 'The Implicit Cultural Pattern in Nizar's Poetry for Women, Diwan (My Sweetest Poems - a Model', *Taiz University Research Journal*, No. 20, Pp. 6-40.

[2] Al-Hadithi, Taha Hammadi, (1979). *Ghajar and Al-Qarj in Iraq: A Comparative Study in Applied Social Geography*. 1st Edition, Mosul: Mosul University Publishing.

[3] Haidar, Jamal, (2008). *Memory of Travels and Biography of Torment*. Casablanca: The Arab Cultural Center.

[4] Ikhaka, Yahya, (1959). *Koli and Her Life*. Volume 1, Tehran: Beautiful Arts of Iran.

[5] Rustam Bormalki, Ruqayya, (2011). 'The Manifestations of the Place in the Poetry of Ezzedine Al-Manasrah', *The Journal of International Humanities*, Vol. 18 (3), Pp. 17-31.

[6] Damour, Yuf Abdul Majeed, (2011). 'The Image of Women in Khalil Mutran's Poetry', a thesis submitted for a Master's degree in literature, Mutah University.

[7] Al-Ghadami, Abdullah, (1998). *The Culture of Illusion, Approaches to Women, the Body, and Language*. Casablanca: The Arab Cultural Center.

[8] Al-Ghadami, Abdullah, (2005). *Cultural Criticism, Reading in the Arab Cultural Forms*. 3rd Edition, Casablanca: The Arab Cultural Center.

[9] Kahh, Alireza, Khalil Berwini, and Kubra Roshanfekr, (2014). 'The New Realism and its Components in the Novel of Augustus by San'allah Ibrahim,' *The Journal of Studies in Humanities*, Year 21, No. 1 (2), Pp. 57-79.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

[10]Madi, Shukri Aziz, (2005). *In Theory of Literature*, 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
[11]Mirqadri, Seyyed Fadlallah, Amin Nazari Trezi and Khatera Ahmadi, (2019). 'The Social Narrative in the Novel Return to Exile', *Journal of Studies in the Humanities*, Vol. 25, No. 2, Pp. 45-65.
[12]Al-Hindawi, Fawzi, (2018). *The Curse of Kane*. 1st Edition, Baghdad: Media House.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

An Analysis of Implicit Cultural Patterns of a Gypsy Woman in Fawzi Al-Hindawi's Novel *The Curse of Kane*

Sadegh Alboghbeish[1], Rasoul Balavi[2*], Mohammad Javad Purabed[3], Naser Zare[4]

1. PhD Student of Arabic Language and Literature, The Persian Gulf University, Bushehr, Iran.
2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, The Persian Gulf University, Bushehr, Iran.
3. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, The Persian Gulf University, Bushehr, Iran.
4. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, The Persian Gulf University, Bushehr, Iran.

Abstract

Cultural criticism, unlike literary criticism, does not look for the beauty of the text and its functions, nor does it pays attention to coherence and imagination, but seeks to discover hidden thoughts and meanings and everything inherited from cultures that lie beyond the beauties of words. Also, it looks for the meaning not visible next to the text, but is hidden to show the influence of continuous cultures on the author's psyche. Women's rights and status are linked to modern culture and the ideas of modernism, and contemporary literature has always been committed to the realization of women's rights and held itself accountable for the well-being and security of women. The purpose of this article is to research the novel "The Curse of Kane" and to find cultural practices and implications and to discover the face of a gypsy woman in this novel and the apparent and hidden text and everything that the author hid inside and adorned the text with words. This research is based on a descriptive-analytical method. The covert practice with regard to the gypsy woman is that it first places the novel in Al-Kamaliyah, which is the center of the gypsy gathering, then we discover the gypsy woman as a worker, then the prey of the eastern men, and illiterate and ignorant respectively. Then the authors describe the weakness and inability of gypsy women and their insecurity.

***Keywords*:** Cultural Criticism; Implicit Cultural Procedures; Gypsy Woman; Fawzi Al-Hindawi; *The Curse of Kane*.

*Corresponding Author, E-mail: r.ballawy@pgu.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]

رویه‌های ضمنی تصویر زن کولی در رمان "لعنۀ کین" اثر فوزی الهنداوی

صادق البوغبیش[۱]، رسول بلاوی[۲*]، محمد جواد پور عابد[۳]، ناصر زارع[۴]

۱.دانشجوی دکتری، رشته زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس بوشهر- ایران
۲.دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر - ایران
۳.دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر - ایران
۴.دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر - ایران

چکیده

نقد فرهنگی برعکس نقد ادبی به دنبال زیبایی‌های متن، وکارکردهای آن نیست و حتّی به انسجام و صورخیال هم توجهی نمی‌کند، بلکه به دنبال کشف تفکّرات نهان است و هر آنچه از فرهنگ‌ها به ارث رسیده که در ورای زیبایی‌های واژگان نهفته است، و به دنبال معانی که در کنار متن ظاهر نیست، بلکه پنهان است تا که تاثیر فرهنگ‌های ممتد بر روان نویسنده را نشان دهد. حقوق زن و جایگاه او با فرهنگ مدرن و تفکّرات مدرنیسم پیوند خورده، و ادبیات معاصر در جهت احقاق حقوق زن همیشه پایبند بوده و جهت رفاه و امنیت زن خود را مسئول دانستند. هدف از نوشتن این مقاله، پژوهش و بازخوانی رمان "لعنۀ کین" و یافتن رویه‌ها و مضمرات فرهنگی و کشف چهرۀ زن کولی در این رمان و متن ظاهر و نهان و هر آنچه که نویسنده در باطن خویش نهان کرده بود و متن را با واژگانی آراسته. این پژوهش براساس شیوۀ توصیفی-تحلیلی سعی در کشف رویه‌های موجود در رمان است.

رویۀ نهان در ارتباط با زن کولی اینگونه بنا شده است که در ابتدا مکان رمان را در الکمالیه قرار می‌دهد، که مرکز تجمّع کولیان بوده، سپس زن کولی کارگر را کشف می‌کنیم سپس به ترتیب زن کولی طعمۀ مردان شرقی، و زن کولی بی‌سواد و جاهل، سپس ضعف و ناتوانی زن کولی و عدم امنیت آنها، و در آخر تن زن کولی در نزد مرد شرقی را شرح خواهیم داد. نویسنده ناخودآگاه آنچه را که در ذهنش می گذرد فاش کرد و تأثیر فرهنگ مردانه بر جامعه عراق و واژگانی که قبلاً با واژه آن درک می‌شد، به ما کمک کرد تا موارد ضمنی را در متن رمان بیابیم.

کلیدواژه‌ها: نقد فرهنگی، رویه‌های فرهنگی ضمنی، زن کولی، فوزی الهنداوی، رمان "لعنۀ کین".

* نویسنده مسئول Email: r.ballawy@pgu.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-07]